الدور الأمني لمنظمة شنغهاي للتعاون 1996–2013:

تعاون إقليمي أم موازنة حلف "الناتو"؟

*خير سالم ذيابات**

ملخص

تبحث هذه الدراسة موضوع الدور الأمني لمنظمة شنغهاي للتعاون منذ إنشاء النواة الأولى للمنظمة عام 1996 وحتى نهاية عام 2013. وقد عرضت الدراسة خلفية تاريخية لهذه المنظمة من حيث النشأة، والأعضاء، والأهداف، والهيكل التنظيمي، والمصالح الأمنية التي تحاول الدول الأعضاء تحقيقها. ثم حاولت الدراسة تحليل طبيعة الدور الأمني الذي تمارسه عبر تقسيمه إلى عدة مراحل تاريخية: مرحلة التقارب بين الدول الأعضاء (1991–1996)، ومرحلة بناء الثقة الأمنية بين الدول الأعضاء (1996–2001)، ومرحلة مأسسة الأمن الإقليمي ومواجهة "الشرور الثلاثة" (2001–2004)، ومرحلة ممارسة الدور الأمني العالمي (2004–2013). وقد اعتمدت الدراسة على فرضية مفادها وجود علاقة تأثير ايجابية بين تنامي دور منظمة شنغهاي الأمني وبين ميل المنظمة لتوظيف هذا الدور في موازنة تهديد محتمل من حلف الناتو. وقد عمل الباحث على استخدام المنهج التاريخي التحليلي لإثبات هذه الفرضية. وقد خلصت الدراسة إلى نتيجة مفادها أن الدور الأمني لمنظمة شنغهاي قد تطور بشكل ملحوظ، مما دفعها إلى ممارسة نوع من التوازن الناعم تجاه سياسات الولايات المتحدة وحلف الناتو، وقد يتطور هذا النوع من التوازن إلى حد التوازن الخشن، إذا ما استطاع أعضاء المنظمة –خاصة الصين وروسيا– تجاوز كافة التحديات الداخلية والخارجية التي تواجه المنظمة.

الكلمات الدالة: منظمة شنغهاي، حلف الناتو، الدور الأمني، التعاون الإقليمي.

المقدمــة

يعد ميل الدول القومية إلى إنشاء تكتلات إقليمية ودولية إحدى السمات المميزة للنظام العالمي المعاصر الذي بدأ يتشكل مع انتهاء الحرب الباردة في بداية تسعينيات القرن الماضي، إذ أن بناء مثل هذه المنظومات أو التكتلات الدولية يوفر فرصة توثيق علاقات الدول الأعضاء فيها، ويعمل على تعميق تعاونها في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والأمنية. ومن بين هذه التكتلات تبرز منظمة شنغهاي للتعاون Shanghai Cooperation Organization (SCO)، التي أعلن رسميا عن إنشائها عام 2001 في ظل نظام عالمي يشهد محاولات غربية وأمريكية للهيمنة على قمة النظام الدولي بتفاعلاته السياسية والاقتصادية والأمنية، مما حدا بهذه المنظمة لأن تعبر عن رفضها الضمني لهذه الهيمنة، خاصة وأن أقطابها –روسيا والصين– جمعتهما خصومة تاريخية مع والولايات المتحدة وحلف شمال الأطلسي "الناتو" (NATO) North Atlantic Treaty Organization خلال مرحلة الحرب الباردة. ولعل قيام الولايات المتحدة وحلفائها الغربيين بتوسيع عضوية حلف الناتو شرقا بعد انهيار المعسكر الاشتراكي، ومد نشاط قواته إلى وسط آسيا بعد الحادي عشر من سبتمبر 2001، جعل مسألة إحياء التحالف الروسي– الصيني من خلال منظمة شنغهاي احتمالاً قائماً، خاصة وأن الدور الأمني لهذه المنظمة يشهد تناميا ملحوظا، ويمكن أن يعمل على الحد من الهيمنة الأمريكية مما قد يعيد معادلة توازن القوى الدولية إلى سابق عهدها، كما كان الأمر بين حلفي الناتو ووارسو (Warsaw Pact) خلال الحرب الباردة.

مشكلة الدراسة وأهدافها

تدور مشكلة الدراسة حول معرفة إمكانية تحول منظمة شنغهاي للتعاون إلى حلف دولي موازن لحلف الناتو الذي تتزعمه الولايات المتحدة، وبناء على هذا الأساس، تهدف هذه

* قسم العلوم السياسية، جامعة اليرموك، اربد، الاردن. تاريخ استلام البحث 2014/6/25، وتاريخ قبوله 2014/8/11.

© 2016 عمادة البحث العلمي/ الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

الدراسة إلى التعريف بماهية هذه المنظمة الصاعدة من خلال الكشف عن العوامل الأمنية التي قادت إلى نشأتها. كما تهدف إلى تحليل أهم المصالح الأمنية التي تتابعها دول المنظمة، وكذلك محاولة رصد واقع دورها الأمني، لرؤية فرصتها في أن تكون قطبا دوليا موازنا للحلف الغربي الأهم (الناتو).

أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة في ناحيتين هما:

1. الناحية العلمية: وتتمثل في تقديم بعض المعلومات المهمة والأساسية وبشكل تحليلي عن منظمة حديثة النشأة نوعا ما، والتي لا زالت مجهولة الهوية بالنسبة للكثير من المهتمين بالعلاقات الدولية في الدول العربية.
2. الناحية العملية: من خلال تحليل دور منظمة صاعدة تضم أهم خصوم الولايات المتحدة (روسيا والصين)، وبالتالي البحث في سلوك أهم الفواعل الرئيسية في النظام الدولي الحالي: روسيا، والصين، والولايات المتحدة إلى جانب حلفائها الغربيين، خاصة وأن تفاعلات هذه الدول لها شأن مهم في تغيير واستقرار النظام العالمي، والتي يمكن لمخرجاتها أن تنعكس على بقية مناطق العالم.

أسئلة الدراسة وفرضيتها

ستحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة التالية:

1. من أين جاءت فكرة قيام هذه المنظمة؟ ومن أعضاؤها؟ وما أهدافها؟
2. هل كان لتغير البيئة الدولية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي دور في قيام هذه المنظمة؟
3. ما المصالح الأمنية التي تسعى لتحقيقها الدول الأعضاء في المنظمة؟
4. ما طبيعة الدور الأمني الذي تمارسه المنظمة؟ وهل هناك أدوار أمنية غير معلنة يسعى لتحقيقها أقطاب هذه المنظمة (روسيا والصين)؟
5. ما فرص هذه المنظمة لأن تصبح قطبا دوليا موازنا لوجود حلف الناتو في آسيا؟ وهل هناك تحديات تحول دون ذلك؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات، تنطلق هذه الدراسة من فرضية مفادها وجود علاقة تأثير ايجابية بين تنامي دور منظمة شنغهاي الأمني وبين ميل المنظمة لتوظيف هذا الدور في موازنة قوة حلف الناتو. وسوف يتم اختبار الفرضية بالاعتماد على تحليل بعض الوقائع والمؤشرات الدولية.

حدود الدراسة

يقتصر التحديد الموضوعي لهذه الدراسة على متغير مستقل هو الدور الأمني لمنظمة شنغهاي، ومتغير تابع هو مخرجات هذه الدور تجاه وجود حلف الناتو في آسيا. أما التحديد المكاني فيتمثل في دراسة الدول الأعضاء في المنظمة (روسيا، الصين، قرجيزستان، كازخستان، طاجيكستان، أوزبكستان). وأخيرا فإن التحديد الزمني لهذه الدراسة يبدأ منذ قيام نواة هذه المنظمة في عام 1996 من خلال توقيع "إعلان شنغهاي" ويمتد حتى نهاية عام 2013.

منهجية الدراسة

إلى جانب استخدام المنهج التاريخي في عرض أهم التطورات التي مرت بها هذه المنظمة، تقوم هذه الدراسة على توظيف المنهج التحليلي القائم على تحليل الكثير من الوثائق والبيانات والممارسات المتعلقة بنشاط منظمة شنغهاي، في محاولة لاستكشاف، ما إذا كان تطور هذه المنظمة يسير باتجاه تشكيل قوة موازنة لحلف الناتو في القارة الآسيوية، أم أنه يقتصر على تعاون أمني إقليمي تقليدي بين الدول الأعضاء؟

الدراسات السابقة

من أهم الدراسات التي تناولت موضوع منظمة شنغهاي للتعاون:

1. دراسة Zhao Huasheng (2006): The Shanghai Cooperation Organization at 5: Achievements and Challenges Ahead, China and Eurasia Forum. وفي هذه الدراسة قدم الباحث عرضا لما حققته منظمة شنغهاي من انجازات في السنوات الخمس اللاحقة لإنشائها، خاصة فيما يتعلق بتطور هياكلها التنظيمية، وبشكل خاص فيما يتعلق بجهاز مكافحة الإرهاب الذي فرضته تطورات ما بعد الحادي عشر من سبتمبر 2001. بعد ذلك انتقل الباحث لعرض أهم التحديات التي تواجه هذه المنظمة، والتي تمثل أهمها بمحدودية قدراتها وعدم تجانسها مع المصالح الحقيقية التي ينشدها أعضاء المنظمة. كما أشار الباحث إلى ضعف هيكلية المنظمة، وإلى بطء تنفيذ الاتفاقيات مما انعكس على وزنها الإقليمي، والذي يراه الباحث بأنه لا زال ضعيفا مقارنة مع بعض المنظمات الإقليمية الأخرى كمنظمة الآسيان والاتحاد الأوروبي. ويفسر لنا الباحث أن هذا الضعف قد يعود إلى قصر عمر هذه المنظمة، التي لا زالت في بداياتها.
2. دراسة Marcel de Haas (2007): The Shanghai Cooperation Organization: Toward a Full-grown Security

Alliance. والتي تطرقت إلى نشأة منظمة شنغهاي من حيث التطور التاريخي والنشاط الأمني الخاص بمنظمة شنغهاي حتى عام 2007. كما عرضت الدراسة للعلاقة الصينية الروسية في إطار هذه المنظمة، حيث تطرقت إلى مجالات التعاون والخلاف بين بكين وموسكو، والتي يمكن أن تتحول إلى حالة من التنافس بهدف الهيمنة على المنظمة. أخيرا قدمت الدراسة موجزا حول علاقة منظمة شنغهاي بالعديد من المنظمات الإقليمية المتواجدة في منطقة وسط آسيا، خاصة مع حلف الناتو. وقد رأى الكاتب أن التعاون بين منظمة شنغهاي وحلف الناتو قد يجلب المزيد من الاستقرار والسلام لوسط آسيا.

3. دراسة Ahmad Ishtiaq (2008): Shanghai Cooperation Organization: China, Russia, and Regionalism in Central Asia. وفي هذه الدراسة قدم الباحث لموجز تاريخي عن نشأة المنظمة، تناول أهم مجالات التعاون الاقتصادية والأمنية بين الدول الأعضاء. كما عرض الباحث لأهم الإنجازات التي حققتها منظمة شنغهاي، خاصة في مجال مكافحة التطرف والحركات الأصولية، وذلك من خلال عرض لأهم المناورات والتدريبات العسكرية التي قامت بها الدول الأعضاء.

4. دراسة جبار علي جمال الدين (2009): مستقبل منظومات التعاون الإقليمي في ظل المتغيرات الدولية. والتي تناول فيها الباحث منظمة شنغهاي كنموذج للتعاون الإقليمي. وقد اقتصرت الدراسة على عرض أهم المصالح التي تتبعها الدول الأعضاء جراء انضمامها للمنظمة. كما عرضت الدراسة لأهم الصعوبات التي تواجه المنظمة والمتمثلة بصعوبة التوسع وحالة التنافس بين الصين وروسيا، بالإضافة إلى بعض الضغوط الخارجية التي قد تمارس ضدها خاصة من قبل الولايات المتحدة.

5. دراسة، أسماء ارشيدات (2011): مستقبل الدور الدولي لمنظمة شنغهاي للتعاون من 2010م إلى 2020م. وقد حاولت الباحثة في هذه الدراسة بحث أثر المتغير الاقتصادي والمتغير الأمني على مستقبل الدور الدولي لمنظمة شنغهاي في الفترة 2010–2020. وقد خلصت الباحثة بنتيجة مفادها أن واقع الدور الاقتصادي والأمني لمنظمة شنغهاي سيكون بداية لدور سياسي عالمي في المستقبل.

ولعل ما يميز دراسة الباحث هذه عن غيرها من الدراسات السابقة، أنها دراسة حديثة تمتد فترتها الزمنية حتى عام 2013. كما أنها تحاول سد ثغرة متعلقة قلة الدراسات التي تعاني منها مكتباتنا العربية حول تحليل الدور الأمني لهذه المنظمة، خاصة وأن أغلب الدراسات التي عالجت هذا الموضوع كانت أجنبية. كما أن هذه الدراسة لم تكتف بوصف قانوني لوثائق المنظمة، بل حاولت تحليل وربط تطورها بمخرجات البيئة الإقليمية والدولية لها.

أولا: التعريف بـ" منظمة شنغهاي للتعاون"

تصنف منظمة شنغهاي للتعاون كإحدى المنظمات الدولية الإقليمية حديثة النشأة، والتي أعلن عن قيامها في مدينة شنغهاي الصينية (Shanghai) في الخامس عشر من حزيران من عام 2001، وهي امتداد لإعلان "خماسي شنغهاي" الذي أعلن عنه في مدينة شنغهاي الصينية في نيسان 1996، بعد سلسلة من اللقاءات والاجتماعات الرسمية التي جمعت كل من الصين وروسيا وكازاخستان وقرجيزستان وطاجيكستان، والتي هدفت إلى خلق صيغة من التعاون السياسي والاقتصادي والعسكري والثقافي بين هذه الدول الخمس، التي ينظر لها كدول مؤسسة لهذه المنظمة، والتي أصبحت ست دول بانضمام دولة أوزبكستان التي انضمت إلى هذا "الخماسي" عام 2001. كما أقرت المنظمة نوعين آخرين من العضوية: عضوية بصفة مراقب، منحتها لكل من الهند، وإيران، وباكستان، وأفغانستان، ومنغوليا. وكذلك عضوية بصفة شريك حوار منحتها لكل من تركيا، وبيلاروسيا، وسيريلانكا (Official Website of SCO, 2001).

ومن خلال نظرة فاحصة إلى الدول الأعضاء، يمكن لنا ملاحظة مدى أهمية الدور السياسي والأمني الذي يمكن أن تمارسه هذه المنظمة مستقبلا: فالدول الأعضاء تشكل ما يقارب ربع سكان العالم وبواقع 1.5 مليار نسمة. وإذا ما أضفنا حجم القوة البشرية من الدول التي تتمتع بصفة مراقب، فإن سكان هذه المنظمة سيشكلون نصف سكان العالم. علاوة على ذلك، فهي تتمتع بقوة عسكرية كبيرة، إذ أنها تضم 4 دول نووية (الصين وروسيا والهند وباكستان)، وقد تصبح 5 دول نووية إذا ما دخلت إيران النادي النووي العالمي، علما أن حجم القدرات العسكرية لروسيا والصين تعد من أكبر القوى العسكرية الموجودة في العالم. ولا ننسى أخيرا أن دول منظمة شنغهاي تشغل ثلاثة أخماس مساحة أوروآسيا الزاخرة بالعديد من الثروات الطبيعية، خاصة في قطاع مصادر الطاقة، حيث تعد روسيا وأوزبكستان وكازاخستان من أهم الدول المصدرة للطاقة، في حين تعد كل من الصين والهند من أهم الدول المستوردة لهذه الطاقة (Haas, 2007).

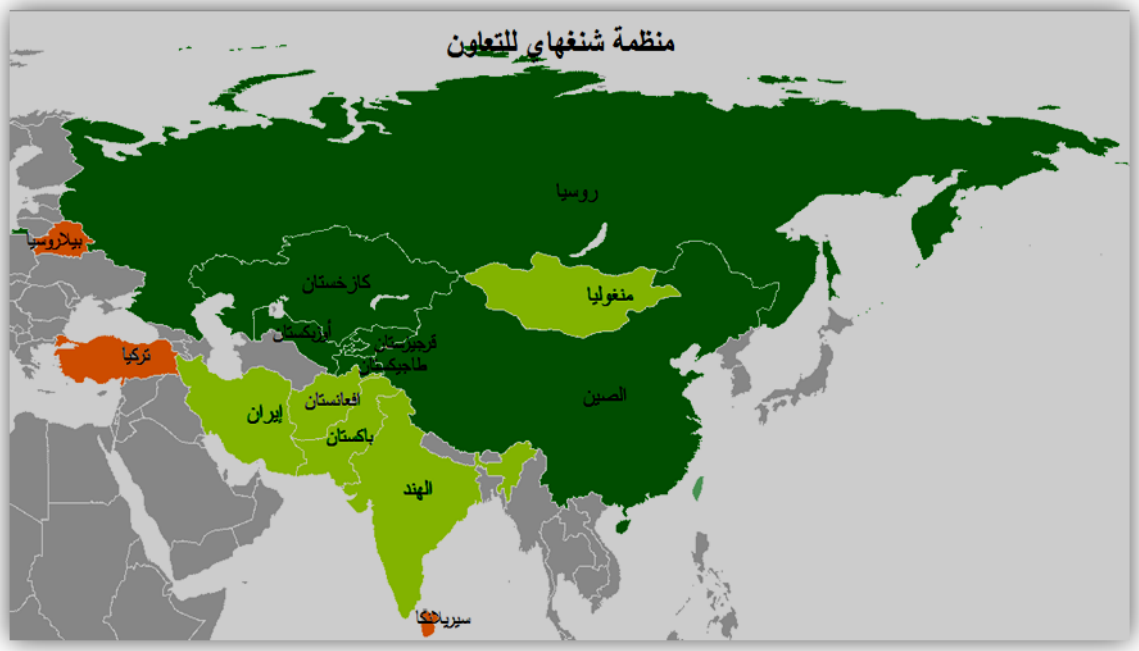

الخريطة (1): الدول الأعضاء في منظمة شنغهاي للتعاون

المصدر: من إعداد الباحث

وقد أفصحت المادة الأولى من ميثاق منظمة شنغهاي للتعاون عن الأهداف التي تسعى المنظمة لتحقيقها، والتي تتعدد بين تقوية علاقات الصداقة والجوار والثقة المتبادلة بين الدول الأعضاء، والعمل على ضمان الأمن والاستقرار في منطقة آسيا الوسطى، والعمل على بناء نظام اقتصادي وسياسي عالمي جديد عادل وعقلاني، واعتبار تعدد الأقطاب نزوعا عاما لتطور العالم المعاصر. بالإضافة إلى التعاون في مجال مقاومة الإرهاب والانفصال والتطرف الديني "الشرور الثلاثة"، وكذلك مكافحة تجارة الأسلحة وتجارة المخدرات، والهجرات غير المشروعة، والعمل كذلك على توسيع التعاون متعدد الجوانب والمستويات بين دول الأعضاء، خاصة في المجالات السياسية والاقتصادية والدفاعية والقانونية والبيئية والثقافية والعلمية والتكنولوجية وفي مجال الطاقة، والعمل على التعاون مع الدول الأخرى والمؤسسات الدولية في سبيل منع الصراعات الدولية وإيجاد تسويات سلمية لهذه الصراعات. إضافة إلى إيجاد حلول ملائمة للمشكلات التي قد تظهر في القرن الحادي والعشرين (Charter of the SCO, 2001).

كما حددت المادة الثانية من ميثاق المنظمة المبادئ التي يجب أن تحكم علاقات الدول الأعضاء داخل هذه المنظمة، والتي كان أهمها (Charter of the SCO, 2001): احترام سيادة واستقلال وأقاليم الدول الأعضاء، إضافة إلى عدم التدخل في الشؤون الداخلية وعدم استخدام القوة أو التهديد باستخدامها، والمساواة بين الدول الأعضاء القائم على الاحترام المتبادل فيما بينها، والتسوية السلمية للنزاعات بين الدول الأعضاء، والتأكيد على أن نشاطات المنظمة ليست موجهة ضد أي دولة أو أي منظمة دولية أخرى، والعمل على منع أي نشاطات غير مشروعة ضد أي دولة من أعضاء المنظمة، وأخيرا تعزيز دور هيئة الأمم المتحدة باعتبارها الآلية الرئيسية لدعم السلام والأمن الدوليين والوقوف ضد استخدام القوة أو التهديد باستخدامها دون سماح من مجلس الأمن الدولي.

أما فيما يتعلق بالهيكل التنظيمي لهذه المنظمة، فإنه يتكون من الأجهزة التالية (Charter of the SCO, 2001):

- مجلس رؤساء الدول (The Council of Heads of State): ويعتبر الهيئة الأعلى لصنع القرار في هذه المنظمة، ويجتمع في قمة سنوية تعقد في عاصمة إحدى الدول الأعضاء. ويقوم هذا المجلس برسم السياسة العامة لنشاطات المنظمة، بما فيها اتخاذ القرارات تجاه القضايا الدولية.
- مجلس رؤساء الحكومات (The Council of Heads of Government): وينظر له كثاني أعلى مجلس في المنظمة، والذي يجتمع أيضا مرة واحدة سنويا لمناقشة كافة القضايا التعاونية بين دول الأعضاء، خاصة تلك المتعلقة

بميزانية المنظمة.

- مجلس وزراء الخارجية (The Council of Ministers of Foreign Affairs): وهو من الهيئات المساعدة للمجلسين السابقين، ويقوم بمناقشة القضايا الدولية، وتقديم توصيات بشأنها، بهدف تحديد موقف المنظمة منها.
- مجلس الأعمال (Meetings of Heads of Ministrie and/or Agencies): ويتألف من مجموعة من ممثلين عن الوزارات المختصة للدول الأعضاء، والذي يبحث في كيفية وضع قرارات المجالس السابقة موضع التنفيذ.
- مجلس المنسقين الوطنيين (The Council of National Coordinators): والذي ينعقد ثلاث مرات في السنة، بهدف تنسيق سياسات التعاون المختلفة بين الدول الأعضاء.
- الجهاز الإقليمي لمكافحة الإرهاب (The Regional Counter-terrorist Structure): وقد أعلن عن تأسيسه في 15 تموز 2001، والذي يهدف إلى تنسيق نشاطات الدول الأعضاء في مجال مكافحة "الشرور الثلاثة".
- الأمانة العامة (The Secretariat): ومقرها بكين، ويرأسها أمين عام معين من قبل مجلس رؤساء الدول لمدة ثلاث سنوات. وتقوم الأمانة بمهمة إدارة شؤون المنظمة، والتنسيق بين أجهزة المنظمة المختلفة، وتقديم كافة التسهيلات اللازمة لعمل المنظمة.

بغض النظر عن الأهداف التي قدمها أعضاء هذه المنظمة لتبرير وجودها، كإحدى أطر التعاون الإقليمي الهادف إلى تعزيز علاقات الثقة والصداقة والتعاون بين دول المنطقة، يمكن القول أن هناك عدة عوامل أمنية هامة قادت إلى خلق بيئة إقليمية جديدة دفعت باتجاه قيام هذا التجمع الإقليمي.

أولى هذه العوامل تمثلت في الحاجة إلى تسوية الخلافات الحدودية بين دول المنطقة: فاستقلال دول آسيا الوسطى بعد انهيار الاتحاد السوفيتي أعاد فتح ملف النزاعات الحدودية بين دول المنطقة، والتي يمكن أن تهدد استقرار دول المنطقة كافة. فهناك نزاعات حدودية بين كل من: روسيا والصين، روسيا وكازاخستان، أوزبكستان وتركمنستان، أوزبكستان وكازاخستان، أوزبكستان وقرجيزستان، أوزبكستان وطاجيكستان، قرجيزستان وكازاخستان، قرجيزستان والصين، طاجيكستان وأفغانستان، تركمنستان وكازاخستان، تركمنستان وأفغانستان، كازاخستان والصين. ولعل عوامل قيام نزاعات حدودية بين دول المنطقة نابعة من عدم وجود حدود مرسومة بشكل واضح أثناء فترة حكم الاتحاد السوفيتي، بالإضافة إلى تمتع بعض المناطق الحدودية بأهمية جغرافية (موقع جيواستراتيجي) أو اقتصادية (مصادر الطبيعية)، مع وجود أقليات اثنية تعيش في هذه المناطق الحدودية (Report of International Crisis Group Asia, 2002).

ثانيا: دور العوامل الأمنية في قيام "منظمة شنغهاي للتعاون"

الجدول (1)

النزاعات الحدودية لدول منظمة شنغهاي

أطراف النزاع	طبيعة النزاع
روسيا والصين	حول الحدود الشرقية البالغ طولها 4300كم، انتهى بترسيم الحدود عام 2004
روسيا وكازاخستان	حول حدود منطقة أتيراو الكازاخية وأستراكان الروسية انتهى بترسيم الحدود عام 2005
أوزبكستان وتركمنستان	حول الحصص المائية في بحر قزوين
أوزبكستان وكازاخستان	حول قرية باي انتهى بتسوية في عام 2003
أوزبكستان وقرجيزستان وطاجيكستان	حول وادي "فرغانا"، وذلك في ولايات فرغانا، ونمانغان، وأنديكان الأوزبكية، وفي ولاية سوغد الطاجيكية، وفي ولايات باتكان، وأوش القرغيزية. انتهى بتسوية جزئية لـ 300 كم من 1099 كم
قرجيزستان وكازاخستان والصين	حول حدود 3300 كم انتهى بتسوية في عام 2004
طاجيكستان وأفغانستان	حول الاختراقات الحدودية المتبادلة بطول 1300 كم
تركمنستان وكازاخستان	حول الاختراقات الحدودية المتبادلة بطول 380 كم
تركمنستان وأفغانستان	حول الاختراقات الحدودية المتبادلة بطول 744 كم

المصدر: من إعداد الباحث اعتمادا على موسوعة ويكيبيديا.

كما أن تصاعد نشاط الحركات الانفصالية والتطرف يشكل عاملا مهما في رسم البيئة الإقليمية الجديدة. فقد أصبح الإرهاب مسألة ذات أولوية عالية في جدول أعمال منظمة شنغهاي، حيث يشكل احتمال تصاعد خطر التشدد الإسلامي التهديد الرئيس الذي يجمع استراتيجيات الأمن الإقليمي لدول المنظمة: فالصين تشعر بالقلق إزاء المحاولات الانفصالية القومية الأويغور[1] (Uyghur) المسلمة في مقاطعة شينشيانغ (Xinjiang)، وخطر الجماعات الشيشانية لا زال يشكل معضلة لروسيا، وأوزبكستان تعاني من التهديد الأمني الذي تشكله الحركة الإسلامية في أوزبكستان، وطاجيكستان تواجه منذ سنوات خطر التشدد الإسلامي. وقد أصبح خطر حزب التحرير تهديدا مشتركا لأمن العديد من الدول في آسيا الوسطى. ومع ظهور حركة طالبان في منتصف التسعينيات وزيادة نشاطها بعد الحادي عشر من سبتمبر 2001، أصبحت أنظار أعضاء منظمة شنغهاي تتجه إلى أفغانستان كمصدر رئيس للتطرف الديني والإرهاب في المنطقة (Sorkina, 2009).

ولعل توسع حلف الناتو شرقا ووصوله إلى مناطق آسيا الوسطى بعد انهيار الاتحاد السوفيتي يعد العامل الأهم في قيام منظمة شنغهاي للتعاون، إذ أنه أدخل بعدا جديدا في المعادلة الأمنية في القارة الآسيوية، خاصة وأن التحولات التي طرأت على عضويته وإستراتيجيته ونطاقه الجغرافي قد أفضت إلى توسعته شرقا ضمن برنامج شراكة تدريجي، حيث استقطب دولا جديدة شملت كلاً من: بولندة، وجمهورية التشيك، وهنغاريا في عام 1999، وكلاً من سلوفاكيا، وسلوفينيا، ورومانيا، وبلغاريا، ودول البلطيق الثلاث (استونيا، ولاتفيا، ولتوانيا) في عام 2004، بالإضافة إلى كل من كرواتيا وألبانيا اللتين انضمتا في عام 2009 (Kurt, 2010). فتطور الوظائف الأمنية والعسكرية الجديدة لحلف الناتو وتوظيفها من قبل الولايات المتحدة منذ انهيار الاتحاد السوفيتي وبعد الحادي عشر من سبتمبر 2001 بشكل خاص، جعلت حلف الناتو بقيادة الولايات المتحدة ينتقل من مرحلة الدفاع عن أراضي الدول الحليفة، إلى مرحلة جديدة تتسم بالدفاع عن مصالح الدول في كافة أرجاء العالم. وقد ظهر ذلك جليا من خلال سلوك واشنطن أثناء حرب الكويت عام 1991، وفي تدخل الناتو في البوسنة عام 1995، وفي الحشد الأمريكي في تايوان عام 1996، وفي حرب كوسوفو عام 1999، وفي محاولات الولايات المتحدة بناء نظام الدرع الصاروخي عام 2000–2002، وأخيرا من خلال حربي أفغانستان 2001 والعراق 2003. ولعل وجود الناتو والقواعد الأمريكية في وسط آسيا (تحديدا في أفغانستان، وباكستان، وتركمنستان، وأوزبكستان، وطاجيكستان، وقرجيزستان) يفسر لنا مدى قلق روسيا والصين من هذا الوجود، هما اللتان نظرتا إليه بعدم ارتياح، على افتراض أنه قد يوظف في تهديدهما وفي حصارهما مستقبلا (Lin and Zhenxu, 2009)

بذلك، لعبت إفرازات البيئة الأمنية الجديدة التي أعقبت انهيار الاتحاد السوفيتي دورا مهما في قيام منظمة شنغهاي للتعاون. فبالإضافة إلى المخاوف المشتركة التي يشكلها الإرهاب والحركات الانفصالية في المنطقة، هناك خشية من تصادم دول المنطقة حول مسائل الحدود الخلافية، وهناك مخاوف من محاولات هيمنة صينية أو روسية على دول المنطقة، إضافة إلى تصاعد مخاوف خصوم الولايات المتحدة (روسيا والصين) النابعة من توسع حلف الناتو شرقا ومن تواجده العسكري في وسط آسيا، والذي ينظر إليه كمحاولة أمريكية لتطويقهما وحصارهما، خاصة وأن الغرب ينظر بعين الشك للصعود الصيني من جهة، ويراقب محاولات روسيا في استعادة نفوذها في المنطقة من جهة أخرى. ومن هنا تأتي الأهمية الخاصة لمنظمة شنغهاي لكل من بكين وموسكو، اللتين تسعيان لعرقلة أي توسع محتمل للناتو في وسط آسيا، وتجتهدان في محاولة تقييد جمهوريات وسط آسيا منعا لاتجاهها نحو تحالفات محتملة مع واشنطن (جبار جمال الدين، 2009).

ثالثا: المصالح الأمنية لدول "منظمة شنغهاي للتعاون"

على الرغم أن المادة الأولى من ميثاق المنظمة بينت أن أهداف هذا التجمع الإقليمي تتلخص بأهداف تعاونية متعددة الجوانب، ترمي إلى زيادة عرى الصداقة والثقة بين الدول الأعضاء، خاصة في مجال مقاومة خطر الإرهاب والتطرف الديني والمحاولات الانفصالية أو"الشرور الثلاثة" بشكل عام، إلا أن كل دولة من الدول الأعضاء في المنظمة تحاول تحقيق مجموعة من المصالح الخاصة بها(Bailis, et al., 2007).

[1] أقلية عرقية من أصول تركية تعيش في شرق ووسط آسيا، يعيش 80% من أفرادها في مقاطعة شينشيانغ شمال غرب الصين في إطار حكم ذاتي، كما يتوزع جزء من هذه الأقلية في مناطق أخرى في الصين مثل مقاطعة تاويوان ومقاطعة هونان. بالإضافة إلى وجود مجتمعات صغيرة لهذه الأقلية في بلدان آسيا الوسطى مثل كازاخستان، وقرجيزستان، وأوزبكستان. تطالب هذه الأقلية باستقلال إقليم شينشيانغ ذي الغالبية المسلمة بهدف إقامة دولة إسلامية مستقلة تحمل مسمى "تركستان الشرقية"، إلا أن هذه المطالبات قادتها إلى صدام مع السلطات الصينية التي ترفض بشكل قاطع أية محاولات انفصالية لأي جزء من إقليمها.

فالصين تسعى للمحافظة على البيئة الأمنية اللازمة لضمان وحدة وتكامل الأراضي الصينية وعدم تهديدها، خاصة وأن بكين بدأت تستشعر بعض التهديدات الناجمة عن انهيار الاتحاد السوفيتي: إذ قد يقود مثل هذا الانهيار إلى وجود حالة من الفراغ الأمني جراء حالة عدم الاستقرار التي تعيشها آسيا الوسطى، والتي يمكن أن تصل إلى الإقليم الصيني المجاور في مقاطعة شينشيانغ، مما يشجع على محاولات اختراق حدود الصين الشمالية والشمالية–الغربية من قبل الحركات المتطرفة أو الإرهابية الموجودة في دول الجوار. ولعل الاضطرابات التي عاشتها مقاطعة شينشيانغ في الفترة 1989–1993 تدلل على ذلك. ولا ننسى في هذا الإطار أن تنامي الإسلام السياسي في جمهوريات آسيا الوسطى وما تمخض عن حرب أفغانستان قد تلقي بظلالها وبشكل سلبي على حالة الاستقرار في هذه المقاطعة. من جهة أخرى، فإن التطورات الإقليمية التي شهدتها المنطقة خاصة بعد الحادي عشر من سبتمبر 2001، ممثلة بتواجد قوات الناتو في المنطقة وعزم الولايات المتحدة على تنفيذ خطط "الدرع الصاروخي" عملت على تعميق هذه التهديدات. فهناك خشية صينية تنظر لهذه الخطط بأنها محاولة أمريكية لتطويق الصين ومحاصرتها بعد زوال الخصم السوفيتي لواشنطن (Huasheng, 2006). لذلك فإن تعاون الصين مع روسيا ودول آسيا الوسطى قد يعرقل هذه التهديدات، ويساعد الصين على الإبقاء على البيئة الأمنية اللازمة لتحقيق التطور الاقتصادي الذي تعيشه الصين منذ تطبيقها لبرنامج الإصلاحات الاقتصادية منذ عام 1978.

كما أن بكين تحاول توسيع روابطها الاقتصادية مع دول وسط آسيا، والعمل على ضمان أمن مصادر الطاقة (النفط والغاز) الملائمة لتطور حجم الاقتصاد الصيني، الذي أصبح ثاني أكبر اقتصاد عالمي منذ عام 2010، حيث يمكن أن تلعب آسيا الوسطى دورا مهما في هذا الإطار، إذا ما تعرضت مصادرها الأصلية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا إلى أية تهديدات محتملة (Report of International Crisis Group Asia, 2013). يضاف إلى ذلك أن بكين تطمح بملء الفراغ السياسي الذي خلفه انهيار الاتحاد السوفيتي، مما يقدم للصين الفرصة في زيادة نفوذها في منطقة وسط آسيا، من خلال إقامة علاقات مع جمهوريات آسيا الوسطى، التي أصبحت محط أنظار الكثير من الدول الطامحة (روسيا والولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي)، والتي ترنو إلى مد نفوذها باتجاه هذه الجمهوريات (Sorkina, 2009). وأخيرا فإن توفير آلية للتعاون بين الصين وروسيا بهدف تنظيم مصالحهما في قارة آسيا، قد يحول دون تنافس بكين وموسكو حول آسيا الوسطى، وبالتالي يحد من تناقض مصالحهما، انطلاقا من قاعدة أن "التعاون أفضل من الصراع" (Aris, 2008).

أما فيما يتعلق بالمصالح الأمنية الروسية، فإن المنظمة توفر لموسكو إمكانية التغلب على المشكلات الأمنية التي تواجهها منذ سنوات جراء نشاط المجموعات الشيشانية، أو تلك المشكلات الناتجة عن تجارة الأسلحة والمخدرات التي تتدفق من أفغانستان باتجاه إقليمها (جبار جمال الدين، 2009). كما تسعى روسيا أيضا لتثبيت مكانتها الإقليمية والتاريخية في وسط آسيا من خلال توسيع نفوذها في المنطقة، مما يمهد إلى تبوئها لمكانة أكبر في تقرير الشؤون الآسيوية، خاصة إذا ما عملت على تقييد دول وسط آسيا للحيلولة دون اتجاهها نحو الولايات المتحدة، خاصة وأن أجواء التوتر تظهر بين الحين والآخر بين موسكو وواشنطن، والتي تعمقت بعد إعلان الولايات المتحدة خطتها لإقامة "درع صاروخي" في بعض دول أوربا الشرقية، وهو ما اعتبرته روسيا تهديدا لأمنها القومي، باعتباره محاولة غربية لحصار روسيا بعد زوال الاتحاد السوفيتي وانهيار المعسكر الاشتراكي (Yandas, 2005).

وأخيرا، فإن بقية الأعضاء من دول وسط آسيا تتقاسم إلى حد ما العديد من المصالح المشتركة. فمن خلال منظمة شنغهاي، يمكن لها تحسين علاقاتها السياسية والاقتصادية مع دول الجوار القوية (روسيا والصين)؛ منعا لأية هيمنة محتملة من قبل هاتين القوتين. كما يمكن لهذه الدول أن تستفيد من جهود أعضاء المنظمة في توفير ضمان فعال لأمنها ضد قوى "الشرور الثلاثة" مما يوفر لها مزيدا من الاستقرار الإقليمي. فكازاخستان تشترك مع الصين في حدود تصل إلى 1700 كم. كما أن طاجيكستان تشترك مع أفغانستان في حدود تصل إلى 1000 كم، وقدرة هذه الدول على صيانة أمن حدودها بمفردها تعتبر متواضعة. كما أن قرجيزستان وطاجيكستان تواجهان تهديداً خطيراً من محاور "الشرور الثلاثة" خاصة في ظل ضعف قواتهما الوطنية. أما أوزبكستان فتسعى بدورها لتحقيق مزيد من الأمن الوطني بعد أن تعرضت إلى سلسلة من الهجمات الإرهابية التي وقعت على حدودها في عام 2000، وبعد أن تزايدت تهديدات حركة تحرير الأوزبك (The Islamic Movement of Uzbekistan) من جهة، وتهديدات حركة طالبان الأفغانية من جهة أخرى، مما استدعى جهودا أمنية كبيرة، يمكن أن تجدها في منظمة شنغهاي للتعاون (Sorkina, 2009).

رابعا: تطور الدور الأمني لـ "منظمة شنغهاي للتعاون"

من خلال متابعة التطورات الإقليمية والدولية التي مر بها تجمع "خماسي شنغهاي" في عام 1996، مرورا بالإعلان عن

قيام المنظمة في عام 2001، ووصولا إلى نهاية فترة الدراسة في عام 2013، يمكن تقسيم تطور الدور الأمني للمنظمة من خلال المراحل التالية:

1. مرحلة التقارب الإقليمي بعد انهيار الاتحاد السوفيتي 1991–1996: حيث اتخذ سلوك الدول الأعضاء بهذه المرحلة عملية التهيئة الذاتية في سبيل البحث عن القواسم المشتركة المعززة للاستقرار الإقليمي. وقد بدأت هذه المرحلة باتفاقية بين بكين وموسكو بهدف اتخاذ تدابير مشتركة لترسيم الحدود بين الطرفين، ولتخفيض قواتهما العسكرية على هذه الحدود (Paramoniv and Strokov, 2006). ثم ما لبثت الدولتان أن وقعتا اتفاقية أمنية مماثلة عام 1992 بمشاركة كل من كازاخستان وطاجيكستان وقرجيزستان، وبهدف منع النزاعات الحدودية وخلق نوع من الاستقرار الإقليمي على حدود الدول الموقعة (Haas, 2007).

2. مرحلة بناء الثقة الأمنية بين الدول الأعضاء 1996–2001: شهدت هذه المرحلة تطورا جديدا لعلاقات الدول الخمس (الصين، وروسيا، وكازاخستان، وطاجيكستان، وقرجيزستان). حيث أعلن عن قيام "خماسي شنغهاي" عام 1996، بعد أن وقعت الدول الخمس اتفاقية جديدة حول حل الخلافات الحدودية وتعزيز إجراءات بناء الثقة في المجال العسكري لتخفيف التوتر في المناطق الحدودية للدول الأعضاء. أتبعتها باتفاقية أخرى عام 1997 وقعت في موسكو حول تخفيض القوات العسكرية للدول الأعضاء في المناطق الحدودية. وقد تم في هذا اللقاء الاتفاق على عقد اجتماعات قمة سنوية في عاصمة إحدى الدول الخمس (Haas, 2007). بعد ذلك، وخلال قمة "خماسي شنغهاي" لعام 1998 في كازاخستان، تم مناقشة الإجراءات الأمنية بما فيها محاربة الحركات الانفصالية والتطرف الديني ومكافحة تهريب الأسلحة والمخدرات. وقد كان لقمة "بشكيك"(Bishkek) في العاصمة القرجيزية عام 1999 أهمية خاصة، إذ صدر عنها بيان هام تجاوز الحدود التقليدية لعمل هذه المجموعة، حيث اتضح فيه ملامح الدعوة لتعاون جديد حول القضايا الأمنية الإقليمية والدولية. هذه الدعوة كانت أكثر صراحة خلال القمة المنعقدة في طاجيكستان عام 2000، حيث بدت الرغبة في تعاون عسكري وأمني واضحة بشكل أكثر، خاصة وأن إعلان القمة شدد على أهمية دعم موقف روسيا في الشيشان، وكذلك على أهمية دعم موقف الصين تجاه تايوان، وأبدى قلقا جراء الوضع الأمني في أفغانستان. كما أكد البيان بشكل مباشر على أهمية العمل على مواجهة التهديدات المحتملة بفاعلية أكبر (Haas, 2007).

3. مرحلة "مأسسة" الأمن الإقليمي 2001–2004: وفي هذه المرحلة تم الإعلان عن قيام منظمة شنغهاي للتعاون خلال قمة شنغهاي عام 2001، كما تم قبول أوزبكستان لعضوية هذه المنظمة. وقد انعكست الأوضاع الأمنية العالمية والإقليمية بعد الحادي عشر من سبتمبر عام 2001ف على نشاط هذه المنظمة، حيث تم توقيع العديد من الاتفاقيات حول مواجهة الأخطار المتصاعدة في المنطقة جراء تنامي خطر الإرهاب، والنشاطات الانفصالية، والجماعات المتشددة أو ما يسمى بـ"الشرور الثلاثة" (The Three Evils) حسب أدبيات المنظمة. وقد انعكس تنامي هذه الأخطار الثلاثة على توجهات أعضاء هذه المنظمة، التي أجمعت خلال قمة موسكو عام 2003 على تأسيس "الجهاز الإقليمي لمكافحة الإرهاب" كأحد أجهزة التعاون الهامة في منظمة شنغهاي، خاصة وأن كلاً من هذه الدول تعاني من تنامي هذه الظاهرة داخل حدودها الإقليمية، والذي سجل نشاطه لاحقا حضورا ملحوظا؛ إذ أنه عمل على إحباط ما يقارب 500 نشاط إرهابي في الفترة 2001–2011 (Bin, 2012). علاوة على ذلك، تشير بعض الإحصائيات المرتبطة بهذا الجهاز، أن المعلومات الأمنية التي تم رصدها حول 42 منظمة و1100 حالة فردية مصنفة بأنها ذات ارتباط بنشاطات إرهابية (Report of International Crisis Group Asia, 2013). وقد تجلى مظهر هذا التعاون أيضا من خلال المناورات العسكرية التي قامت بها الدول الأعضاء: ففي تشرين الأول من عام 2002 قامت كل من الصين وقرجيزستان بإجراء تمرينات عسكرية ضد العمليات الإرهابية في قرجيزستان، تبعتها تمرينات مشابهة عام 2003 في الأراضي الصينية والكازاخية, والتي شاركت بها كافة الدول الأعضاء عدا أوزبكستان (Haas, 2007).

4. مرحلة تبني إستراتيجية أمنية عالمية 2004–2013: وفي هذه المرحلة بدأت منظمة شنغهاي تخرج من إطارها الإقليمي المتمثل بمحاربة "الشرور الثلاثة"، لتحاول تقديم نفسها كمنظمة عالمية تستطيع ممارسة دور أمني عالمي. وقد ظهر هذا التحول من خلال العديد من المؤشرات: فقد عملت المنظمة منذ البداية على إقامة علاقات مع العديد من المنظمات العالمية والإقليمية: فقد حصلت على صفة مراقب في الجمعية العامة للأمم المتحدة عام 2004، وقامت بتوقيع اتفاقية تعاون حول التعاون في إجراءات مكافحة الإرهاب والتطرف مع منظمة الآسيان The Association of SoutheastAsian Nations (ASEAN) وكذلك مع منظمة معاهدة الأمن الجماعي The Collective Security Treaty Organisation (CSTO) (أسماء ارشيدات، 2011). مما ساهم

لاحقا في توفير منابر عالمية وإقليمية تمكن منظمة شنغهاي من طرح مواقفها تجاه العديد من القضايا الأمنية الإقليمية والعالمية. مؤشر ثان يدلل على هذا التوجه يتمثل بالمناورات العسكرية التي نفذتها المنظمة منذ عام 2002. فقد قامت بإجراء العديد من المناورات العسكرية الهادفة إلى تعزيز التعاون العسكري فيما بينها. فقد شهدت الفترة اللاحقة وبشكل سنوي العديد من المناورات العسكرية الهامة، والتي فسرت على أنها بداية جدية لتوثيق التعاون العسكري بين الدول الأعضاء، خاصة بين الجانب الروسي والصيني. فقد اشتملت معظم هذه التدريبات على تدريبات عسكرية متقدمة، كما تضمنت استخدام قاذفات قنابل بعيدة المدى، وعمليات لتحييد مضادات الطائرات, وعمليات السيطرة على المطارات، والحصار البري والبحري، مما يبين أن الهدف من هذه المناورات لا يقتصر على محاربة الإرهاب فقط، بل يتعداه إلى التعاون في ردع أية أخطار أو تهديدات خارجية أخرى. والجدول رقم 2 يوضح لنا جانبا من هذه المناورات:

الجدول (2)

المناورات العسكرية لأعضاء منظمة شنغهاي 2001–2013

التاريخ	الدول المشاركة	مكان المناورة	هدف المناورة
10/ 2002	الصين وقرجيزستان بمشاركة 200 جندي	قرجيزستان	ضد الإرهاب
2003/8	الصين وروسيا، وكازاخستان، وقرجيزستان، وطاجيكستان بمشاركة 1300 جندي	الصين وكازاخستان	ضد الإرهاب
8/ 2005	الصين وروسيا بمشاركة 10000 جندي	الصين وروسيا	ضد الإرهاب وضد أية أخطار أخرى
3/ 2006	الصين وروسيا وكازخستان وقرجيزستان وطاجيكستان وأوزبكستان بمشاركة 450جندي	وأوزبكستان	ضد الإرهاب
5/ 2007	الصين وروسيا وكازخستان وقرجيزستان وطاجيكستان، وأوزبكستان بمشاركة 4000جندي	قرجيزستان	ضد الإرهاب
7/ 2009	الصين وروسيا بمشاركة 2600 جندي	الصين وروسيا	ضد الإرهاب
9/ 2010	الصين وروسيا وكازخستان وقرجيزستان وطاجيكستان وأوزبكستان بمشاركة 5000 جندي	كازاخستان	ضد الإرهاب
6/ 2012	الصين وروسيا وكازخستان وقرجيزستان وطاجيكستان بمشاركة 2000جندي	طاجيكستان	ضد الإرهاب
8/ 2013	الصين وروسيا بمشاركة 1300 جندي	روسيا	ضد الإرهاب

المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على دراسة (Haas, 2007) بالإضافة إلى العديد من المصادر الأخرى

كما يشكل تزايد حجم الإنفاق العسكري لدول المنظمة مؤشرا مهما في تنامي هذا الدور العالمي. فكما تشير التقديرات السنوية لمعهد SIPRI حول الإنفاق العسكري العالمي، فقد ارتفعت النفقات العسكرية لأعضاء دول منظمة شنغهاي – خاصة لدى الصين وروسيا– في الفترة 1996–2012 ارتفاعا ملحوظا، على الرغم من تحسن العلاقات بين هؤلاء الأعضاء، مما قد يعني توجها عاما نحو محاولة ممارسة أدوار أمنية تتجاوز البعد الإقليمي في ظل التطورات الدولية المتعاقبة: فالصين رفعت نفقاتها العسكرية من 25.424 مليار دولار لعام 1996 إلى حوالي 157.603 مليار دولار لعام 2012. في حين ارتفع الإنفاق العسكري الروسي من 32.529 مليار دولار إلى 90.646 مليار دولار لنفس الفترة. هذا الارتفاع في النفقات العسكرية شمل بقية أعضاء دول المنظمة أيضا كما يبينه شكل رقم 1.[2]

[2] حجم نفقات بقية أعضاء المنظمة مدونة في أسفل هذا الشكل إلا أنها لا تظهر من خلال الأعمدة نظرا للفجوة الواسعة التي تفصلها عن كل من روسيا والصين.

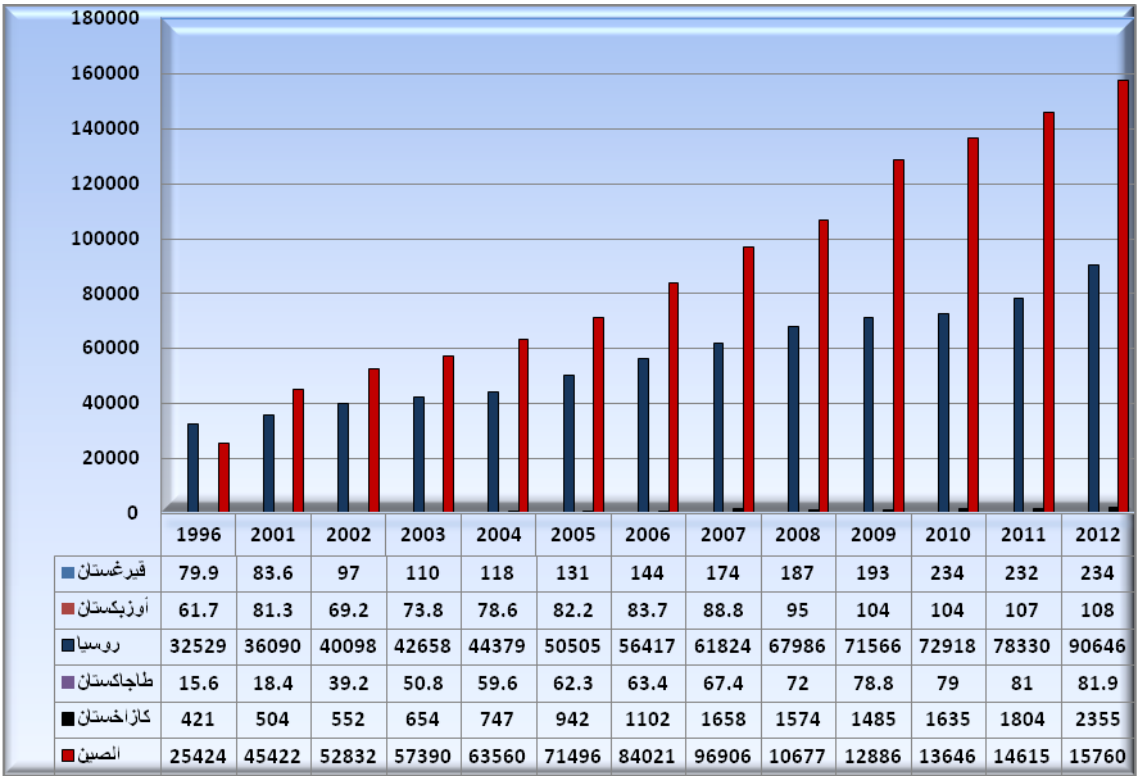

	1996	2001	2002	2003	2004	2005	2006	2007	2008	2009	2010	2011	2012
قيرغستان	79.9	83.6	97	110	118	131	144	174	187	193	234	232	234
أوزبكستان	61.7	81.3	69.2	73.8	78.6	82.2	83.7	88.8	95	104	104	107	108
روسيا	32529	36090	40098	42658	44379	50505	56417	61824	67986	71566	72918	78330	90646
طاجاكستان	15.6	18.4	39.2	50.8	59.6	62.3	63.4	67.4	72	78.8	79	81	81.9
كازاخستان	421	504	552	654	747	942	1102	1658	1574	1485	1635	1804	2355
الصين	25424	45422	52832	57390	63560	71496	84021	96906	10677	12886	13646	14615	15760

شكل 1. حجم النفقات العسكرية لدول منظمة شنغهاي 1996-2012 (بالمليون دولار)

المصدر: SIPRI Yearbook, 2012

هذا التوجه العالمي يظهر أيضا من خلال توجهها نحو عسكرة أمن الطاقة، وذلك من خلال التعاون الأمني لمنظمة شنغهاي مع منظمة معاهدة الأمن الجماعي (CSTO) حول زيادة الجوانب العسكرية لأمن الطاقة لدول أعضاء المنظمتين، والتي تشمل الحراسات الأمنية لخطوط أنابيب النفط والغاز، وحماية خطوط السكك الحديدية، ونشر قوات الرد السريع ضد الهجمات الإرهابية أو أية تهديدات محتملة (Lin, 2009). أضف إلى ذلك تزايد الترتيبات الأمنية مع الدول الغربية بشأن قضايا المنطقة: فعلى الرغم من وجود تعاون ثنائي بين حلف الناتو ودول آسيا الوسطى الخمس ضمن إطار "الشراكة من أجل السلام" من ناحية، وكذلك مع روسيا عبر "مجلس الناتو-روسيا" منذ عام 2002 من ناحية أخرى، إلا أن منظمة شنغهاي بدأت ومنذ عام 2005 بإنشاء مجموعة اتصال مع حلف الناتو بهدف التنسيق الأمني في أفغانستان، مما يدلل على أن منظمة شنغهاي تتطلع لتوسيع دورها الأمني غربا من وسط آسيا (Lin, 2009). ولعل دعوة البيان الختامي لقمة دول المنظمة في شنغهاي في عام 2005 الولايات المتحدة إلى تحديد موعد لإغلاق قواعدها العسكرية في دول آسيا الوسطى (في أوزبكستان وقرجيزستان) لمؤشر واضح على رغبة منظمة شنغهاي في الانفراد بحل المشكلات والأزمات الإقليمية دون أي تدخل غربي (Huasheng, 2006).

ولعل توقيع أعضاء المنظمة اتفاقية للصداقة وحسن الجوار في 16 آب 2007 يؤكد هذا التوجه العالمي، إذ تضمنت موادها عدم جواز انضمام أية دولة من أعضاء المنظمة إلى أي تحالف عسكري يستهدف دولة عضو في المنظمة، وكذلك الدعوة إلى تعزيز التنسيق والتعاون العسكري بين الدول الأعضاء في حالة وجود تهديدات أمنية ضد الدول الأعضاء (Declaration of Bishkek, 2007). وأخيرا حملت بيانات المنظمة الختامية -خاصة بيانات القمة للأعوام 2005 و2007 و2009 و2013- محاولة صريحة لإظهار هيبتها ومكانتها الدولية تجاه حلف الناتو والولايات المتحدة. فقد تضمنت إشارات واضحة إلى ضرورة وجود النظام المتعدد الأقطاب في العالم، وضرورة تفعيل دور الأمم المتحدة في العلاقات الدولية. ويمكن لمس هذا التوجه الجديد للمنظمة من خلال بعض المواقف في الأزمات الدولية، والتي سجلت تجاوز نطاق نشاطها الإقليمي. ففيما يتعلق بما تشهده منطقة الشرق الأوسط من أحداث منذ انطلاق "الربيع العربي"، فقد أعربت الدول الأعضاء عن قلقها العميق إزاء الوضع في غرب آسيا

وشمال أفريقيا. ودعت المجتمع الدولي إلى احترام مقاصد ميثاق الأمم المتحدة وقواعد القانون الدولي للأمم المتحدة، واحترام خيارات الدول المستقلة، وعارضت بنفس الوقت أي تدخل مسلح أو قسري لتغيير النظم السياسية في المنطقة (Statement of SCO Secretary-General in connection with Middle East events, 2011). كما اعتبرت المنظمة أن أية محاولة لحل القضية الإيرانية بالقوة لن تكون مقبولة لدى أعضاء المنظمة، وأنها ستقود إلى نتائج خطيرة ومهددة للاستقرار والأمن الإقليمي من جهة، والعالمي من جهة أخرى (Declaration of the SCO, 2012). وأخيرا فقد سجلت المنظمة موقفا هاما تجاه الأزمة السورية، حيث دعت قمتها المنعقدة في مدينة "بيشكيك" القرجيزية في 13 أيلول من عام 2013 إلى العمل على إحلال الاستقرار والسلام في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا عامة، وفي سوريا خاصة. كما عارضت التدخل العسكري في شؤون هذه المنطقة بدون موافقة مجلس الأمن الدولي، مشددة على سيادة سوريا، وداعية إلى وقف العنف في البلاد وإطلاق حوار سياسي بين السلطات والمعارضة بدون شروط مسبقة وعلى أساس بيان جنيف. كما أكدت دعمها للجهود الداعية لعقد مؤتمر دولي بهدف تهيئة أساس للمصالحة وعدم تكريس عسكرة الأزمة الداخلية في سوريا، حيث أيدت المبادرة الروسية حول وضع الأسلحة الكيميائية السورية تحت الرقابة الدولية وإتلافها لاحقا، ودعت كذلك إلى انضمام سوريا إلى معاهدة حظر السلاح الكيميائي (Panin, 2013).

خامسا: "منظمة شنغهاي للتعاون" وموازنة حلف الناتو في آسيا بين الفرص والتحديات

مع تنامي الدور الأمني لمنظمة شنغهاي والذي بدأ يظهر جليا في المرحلة 2004–2013، يمكن القول اهتمامات المنظمة أن بدأت تتعدى حدودها الإقليمية في محاولة لتأكيد الحضور العالمي لأقطابها (روسيا والصين). ولعل تنامي هذا الدور لفت انتباه العديد من المهتمين بالشأن الدولي –خاصة الغربيين منهم– على أساس أن روسيا والصين توظفان منظمة شنغهاي للتعاون لملء الفراغ السياسي والعسكري الذي خلفه زوال حلف وارسو سابقا من خلال بناء حلف عسكري يهدف إلى تحقيق التوازن الدولي ضد حلف الناتو في آسيا بداية، وبقية مناطق العالم لاحقا. ولعل هذا الافتراض ينسجم مع أطروحات النظرية الواقعية الجديدة، وبشكل خاص مع أطروحات نظرية "توازن التهديد"(Balance of Threat) لـ Stephen Walt، التي تفترض أن الدول القومية تميل إلى أسلوب التحالف بهدف موازنة تهديدات محتملة في ظل توافر مؤشرات معينة مثل: وجود خطر خارجي، والقرب الجغرافي من مصدر الخطر، وزيادة قدراته الكلية، بالإضافة إلى زيادة قدراته الهجومية وتوجهاته العدوانية (Walt, 1985). وبإسقاط هذه المعطيات على احتمالية قيام منظمة شنغهاي بموازنة حلف الناتو، نجد أن هذه النظرية تقدم تفسيرا مقبولا –من وجهة نظر الباحث على الأقل– لتنامي الدور الأمني لمنظمة شنغهاي للتعاون. فشعور كل من روسيا والصين بتهديد الولايات المتحدة وحلف الناتو بالدرجة الأولى، والقرب الجغرافي لهذا الخطر من خلال توسع الناتو ووجود قواعده في شرق أوروبا آسيا الوسطى، بالإضافة إلى تفوق قدرات دول الناتو الكلية في كافة المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية، وتنامي الشكوك الغربية والأمريكية جراء الصعود الصيني وتنامي الدور الروسي العالمي، كلها دوافع تفسر لنا سيناريو التوازن. ولعل المؤشرات الآتية تدعم بناء هذا التوازن:

1. تأكيد ميثاق المنظمة على ضرورة تقوية علاقات الثقة المتبادلة بين الدول الأعضاء –خاصة بين روسيا والصين–، والعمل على المحافظة على أمن واستقرار منطقة آسيا الوسطى، والتعاون في المجالات الأمنية والدفاعية، وتوسيع التعاون متعدد الجوانب والمستويات بين الدول الأعضاء، خاصة في المجالات السياسية والاقتصادية والدفاعية. كما شددت وثائق المنظمة اللاحقة على أهمية تعزيز التنسيق والتعاون العسكري بين الدول الأعضاء في حالة وجود تهديدات أمنية ضد الدول الأعضاء، وعدم جواز انضمام أية دولة من أعضاء المنظمة إلى أي تحالف عسكري يستهدف دولة عضو في المنظمة (Declaration of Bishkek, 2007).
2. سلبية الإرث التاريخي لعلاقات أقطاب المنظمة (روسيا والصين) بأقطاب حلف الناتو (الولايات المتحدة والدول الغربية) والتي تمتد جذورها إلى مرحلة الحرب الباردة، والتي لا زالت تلقي بظلالها على هذه العلاقات حتى بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، خاصة مع استمرار بعض الخلافات حول العديد من القضايا الإقليمية والدولية: الخلاف الأيدلوجي بين روسيا والصين من جهة، والدول الغربية من جهة أخرى؛ قضايا حقوق الإنسان والديمقراطية، موقف الغرب من تايوان والشيشان، تهديدات الدرع الصاروخي الأمريكي لروسيا والصين، خشية الغرب من الصعود العسكري الصيني، توسع الناتو في أوروبا الشرقية ووسط آسيا (Huasheng, 2006).
3. الطموح الصيني والروسي بالتعددية القطبية في النظام السياسي العالمي دون تفرد الولايات المتحدة، خاصة وأن كلا القوتين لهما نفوذ سياسي متصاعد (في مجلس الأمن). وهذا ما أكدته العديد من وثائق المنظمة، التي تضمنت رسالة

واضحة للولايات المتحدة، مفادها أن تحديد مستقبل آسيا الوسطى يرجع إلى دول المنطقة، وليس إلى قوى من خارج القارة، كما أظهرت رغبة موسكو وبكين بإنشاء نظام دولي جديد قائم على بنية أمنية عالمية جديدة من الثقة المتبادلة، والمنفعة المتبادلة والمساواة والاحترام المتبادل (Different Summits of SCO, 2005-2013).

4. امتلاك الصين وروسيا لقدرات عسكرية مدعمة بالأسلحة النووية والصواريخ الإستراتيجية قد يزيد احتمالية قيام أعضاء المنظمة بتطوير هيكل أمني متطور، يمكن التعويل عليه في درء التهديدات والمخاطر المحتملة –أيا كان مصدرها– والتي يمكن أن تهدد أمن الدول الأعضاء في المنظمة (Declaration of Bishkek, 2007).

5. العمل على عسكرة المنظمة تدريجيا: فبعد أن كانت المنظمة تقتصر على تعاون الأعضاء في مجال حل الخلافات الحدودية ومحاربة الإرهاب، تحولت إلى كتلة تمارس نشاطات أمنية متعددة (تزايد حجم الإنفاق العسكري للدول الأعضاء، وزيادة المناورات العسكرية المشتركة، ووجود علاقات مع منظمة CSTO، وعسكرة أمن الطاقة، مما يجعلها مرشحة لأن تكون منظمة عسكرية في المستقبل كما أشار تقرير الكولونيل الهولندي Marcel de Haas من الجيش الملكي الهولندي عام 2007 (Lin, 2009).

6. التأكيد على أهمية دور وصلاحيات الأمم المتحدة كهيئة مختصة في معالجة قضايا السلام والأمن الدولي (Declaration of Astana, 2011)، مما يعني إتاحة الفرصة لأقطاب منظمة شنغهاي استثمار قوتهما السياسية –حق الفيتو الصيني والروسي– في عرقلة توجهات الولايات المتحدة التي لا تتفق مع مصالح هذين القطبين. ولعل الدفع بحق الفيتو عند تصويت كل من روسيا والصين في مجلس الأمن حول العديد من القضايا، وآخرها تجاه الأزمة السورية يدلل على هذا التوجه (أسماء ارشيدات، 2011). إذ فسر هذا التوجه، بأنه بداية توازن روسي–صيني للنفوذ الأمريكي داخل أروقة الأمم المتحدة.

وبذات الوقت، كان هناك رأي ثان مفاده أن فكرة التوازن ضد حلف الناتو غير موجودة على لائحة اهتمامات منظمة شنغهاي، فهي ليست إلا منظمة تعاون إقليمية تتابع أهدافا مشتركة للتعاون الإقليمي بين الدول الأعضاء، خاصة مع وجود العديد من التحديات الداخلية والخارجية التي تواجه المنظمة، والتي ستتكفل بإعاقة أية محاولة لبناء هذا التوازن ضد حلف الناتو. ففيما يتعلق بالتحديات الداخلية، فأهمها:

1. الافتقار إلى التماسك بين أعضاء المنظمة: فعلى الرغم أن المنظمة نجحت في تنسيق العلاقات بين الدول الأعضاء فيها، إلا أن هذه العلاقات لم تصبح متماسكة بما يكفي لتحقيق تعاون عميق بين الدول الأعضاء، والذي يلزم للتكامل الإقليمي المنشود. ويظهر عدم التماسك هذا من خلال عدة جوانب: فعدم التكافؤ بين أعضاء المنظمة من حيث القدرات الكلية التي تفصل بين الصين وروسيا من جهة، وبقية أعضاء المنظمة من جهة أخرى، قد يثير مخاوف كل من أوزبكستان وطاجيكستان وقرجيزستان وكازاخستان تجاه محاولات هيمنة روسية أو صينية محتملة. كما أن وجود حالة من التنافس على النفوذ في القارة الآسيوية بين قطبي المنظمة (روسيا والصين) قد يعمل على إعاقة تطور دور المنظمة، خاصة في ظل تنافسهما في مجال الطاقة، وفي مجال كسب نفوذ في جمهوريات آسيا الوسطى. فالصين تحاول جاهدة بناء علاقات سياسية و عسكرية مع هذه الجمهوريات، بينما نجحت روسيا في إقامة هذه العلاقات منذ عام 1992، من خلال منظمة معاهدة الأمن الجماعي، التي تضم كلا من روسيا وبيلاروسيا وكازاخستان وطاجيكستان وأوزبكستان وأرمينيا وقرجيزستان. فخيارات روسيا مفتوحة من خلال وجود تحالف آخر في آسيا يتمثل بمنظمة معاهدة الأمن الجماعي، والذي ينظر له أنها كمحاولة روسية لمواجهة الهيمنة الأمريكية في منطقة آسيا الوسطى وحتى أوروبا الشرقية (Official Website of CSTO). وأخيرا فقد يقود التناقض في بعض مصالح الدول الأعضاء في المنظمة إلى إشعال فتيل التنافس بين الأعضاء، خاصة بين أقطاب المنظمة –الصين وروسيا– ، واللذين تجمعهما علاقات تنافسية نابعة من قضايا جيواستراتيجية واقتصادية يمكن أن تلعب دورا في عرقلة تطور المنظمة، خاصة وأن البحث الصيني عن الأسواق الآسيوية لا يتواءم مع البحث الروسي عن استعادة المكانة الإقليمية لموسكو في المنطقة (جبار جمال الدين، 2009).

2. المخاوف الاقتصادية: فمعظم اقتصاديات الدول الأعضاء (باستثناء الصين وروسيا إلى حد ما) تعتبر من الاقتصاديات المتواضعة مقارنة بالدول الغربية. كما أن وجود فجوة شاسعة بين حجم الاقتصادين الصيني والروسي من جهة، و بقية اقتصاديات الدول الأعضاء من آسيا الوسطى، قد يعمل على إبقاء الأخيرة في دائرة الاعتماد على تلقي مساعدات محتملة من طرف بكين وموسكو، وبالتالي يحد من ميزانية المنظمة، وينعكس سلبا على أدائها، حيث توظف هذه المساعدات في دعم اقتصاديات الدول الأعضاء الفقيرة، عوضا عن توظيفها في تفعيل دور ونشاط المنظمة. يضاف إلى ذلك أن الدول الأعضاء تختلف في ارتباطاتها الاقتصادية الخارجية،

مما يضعف من إمكانية تعميق وتقوية العلاقات بين الدول الأعضاء، والذي بدوره سيؤثر على ارتباطاتها السياسية والأمنية (Ishtiaq, 2008).

3. قضية الإجماع في اتخاذ القرارات يمكن أن تعيق عمل المنظمة، خاصة وأن هيئات المنظمة تتخذ قراراتها بالاتفاق دون تصويت، وتعتبر قراراتها معتمدة إذا لم تقدم أية دولة عضو أية اعتراضات أثناء عملية اتخاذ القرار (الإجماع). ويستثنى من ذلك القرارات المتعلقة بتعليق العضوية أو الطرد من المنظمة، والتي تتخذ حسب قاعدة "إجماع ناقص صوت الدولة العضو المعنية (Charter of the SCO, 2001).

4. ضعف وعدم فاعلية أجهزة المنظمة: بالرغم من وجود العديد من الأجهزة في منظمة شنغهاي، إلا أن هذه الأجهزة تفتقر لآليات فعالة ذات صلاحيات واضحة للتعامل مع القضايا التي قامت من أجلها هذه المنظمة. فعلى سبيل المثال تفتقر المنظمة لجهاز دائم لتسوية القضايا الخلافية التي قد تنشأ بين الدول الأعضاء. فالمادة 22 من ميثاق المنظمة اقتصر فقط على آلية التفاوض والتنسيق لبحث أي نزاع محتمل بين الدول الأعضاء، دون أن يكون هناك أي جهاز رسمي يقوم بهذه المهمة، مما يجعل التوصل لحلول مقبولة لدى أطراف النزاع أمرا في غاية الصعوبة، إذا ما أخذ تناقض المصالح بين أطراف ذلك النزاع. هذا الأمر ينطبق أيضا على كيفية التعامل مع الأزمات التي قد تنشأ في القارة الآسيوية، حيث أن المنظمة تخلو من أي هيكل تنظيمي أو قيادة عسكرية موحدة تخولها إدارة أية أزمة محتملة (Ishtiaq, 2008).

أما فيما يتعلق بالتحديات الخارجية، فتشمل:

1. تفوق القدرات الكلية العسكرية لدول حلف الناتو على تلك التي تمتلكها منظمة شنغهاي، مما يخلق حالة من الردع العسكري لدى أعضاء منظمة شنغهاي، بأن أي مواجهة عسكرية مع حلف الناتو ستكون في غير صالحها. ويكفي لنا في هذا المجال الإشارة إلى أن حجم الإنفاق العسكري لحلف الناتو في عام 2012 قد بلغ حوالي 990.932 مليار دولار، في حين بلغ المجموع الكلي للأنفاق العسكري لدول منظمة شنغهاي 259.745 مليار دولار لنفس العام.

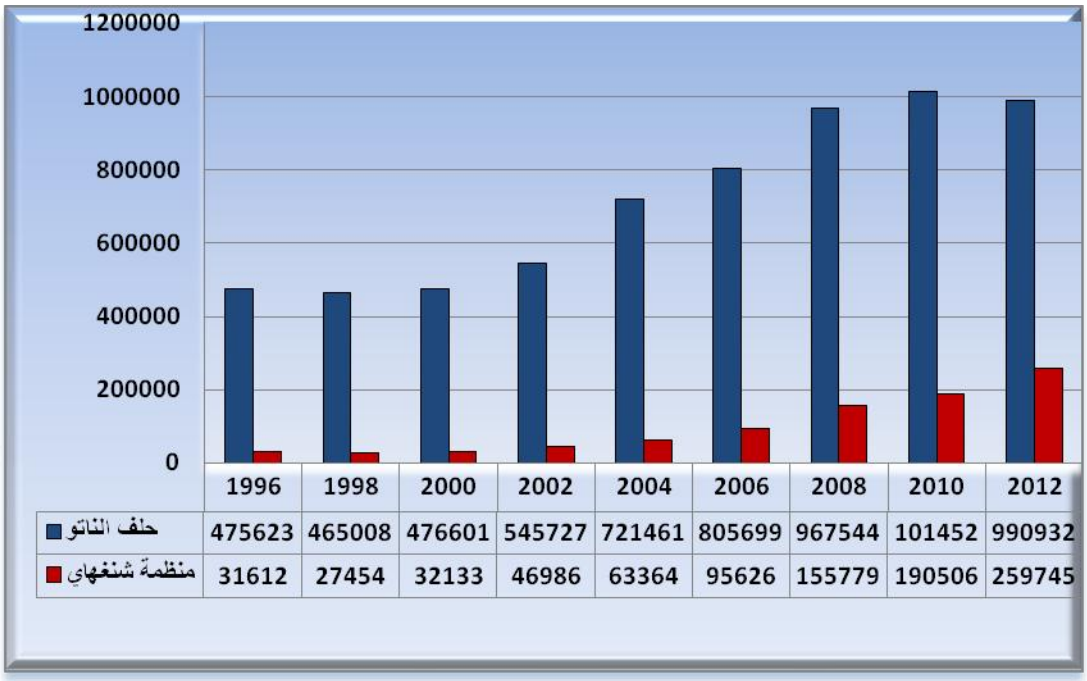

	1996	1998	2000	2002	2004	2006	2008	2010	2012
حلف الناتو	475623	465008	476601	545727	721461	805699	967544	101452	990932
منظمة شنغهاي	31612	27454	32133	46986	63364	95626	155779	190506	259745

شكل 2. مقارنة النفقات االعسكرية لكل من حلف الناتو ومنظمة شنغهاي 1996-2012 (بالمليون دولار)

المصدر: SIPRI Yearbook, 2012

2. وجود حالة من الردع السياسي والاقتصادي بين أعضاء المنظمة والدول الغربية مما يحول دون أي صدام عسكري بين أقطاب النظام العالمي: فالصين وروسيا ترتبطان بعلاقات اقتصادية وثيقة مع الدول الغربية والولايات المتحدة. وكلاهما لا يرغبان بإثارة انتقادات الدول الغربية تجاه قضايا سياسية مهمة لهما (القضية التايوانية والشيشانية)، أو تجاه بعض محاولات قمع حقوق الإنسان والديمقراطية بذريعة محاربة "الشرور الثلاثة" (جبار جمال الدين، 2009). في حين

لن تغامر دول آسيا الوسطى بفقدان المساعدات الأمريكية والأوروبية، التي تعتبرها مصدرا هاما للتنمية والتحديث (Yandas, 2005).

3. هناك مجموعة من القضايا ذات الاهتمام المشترك والتي من شأنها تنمية التعاون المشترك بين أقطاب المنظمة وأقطاب الناتو، وتحول دون الوصول إلى مواجهات غير مرغوبة. فبعد الحادي عشر من سبتمبر 2001، تقوم إستراتيجية الناتو على مكافحة التهديدات في مواقعها وهذا يتطلب تعاونا واسعا مع العديد من الدول التي تنتمي للمناطق الحيوية والحساسة في العالم. وشنغهاي قد تكون محط اهتمام الناتو في هذا المجال بمنطقة جنوب شرق آسيا. فالتعاون في مجال مكافحة الإرهاب والتطرف الديني (القاعدة وطالبان)، ومكافحة تجارة المخدرات، والتعاون في إدارة الملف الكوري والإيراني والأفغاني والسوري قد يعمل على تهيئة الفرص لتقارب هذه الأقطاب، دون أن تصل إلى حالة المواجهة.

الخاتمة والاستنتاجات

قامت الدراسة بتقديم جانب مهم لتطور الدور الأمني لمنظمة شنغهاي للتعاون منذ عام 1996 وحتى عام 2013، وحاولت ربط تطور وانعكاسات هذا الدور على إمكانية بناء حلف موازن لحلف الناتو في آسيا، حيث قسمت الدراسة إلى خمسة أجزاء: تناول الجزء الأول التعريف بمنظمة شنغهاي للتعاون من حيث الأعضاء والأهداف والمبادئ. وتعرض الجزء الثاني من الدراسة إلى البيئة الدولية وكذلك العوامل الأمنية التي نشأت في ظلها المنظمة. أما الجزء الثالث فقد عمل على تحليل المصالح الأمنية التي تسعى لتحقيقها الدول الأعضاء من خلال المنظمة، بينما عالج الجزء الرابع وبشكل تحليلي مراحل تطور الدور الأمني لهذه المنظمة وفق مؤشرات متعددة. وبالتالي حاولت الدراسة في جزئها الخامس أن تتلمس الفرص المتاحة للمنظمة لموازنة حلف الناتو في القارة الآسيوية، بالإضافة إلى توضيح التحديات التي قد تحول دون ذلك. وقد خلصت الدراسة إلى الاستنتاجات التالية:

1. لعبت الاعتبارات الأمنية دورا مهما في قيام منظمة شنغهاي للتعاون بعد انتهاء الحرب الباردة (النزاعات الحدودية، وتصاعد خطر الجماعات المتشددة والحركات الانفصالية في وسط آسيا، بالإضافة إلى توسع حلف الناتو باتجاه وسط آسيا وهيمنة الولايات المتحدة)، التي يمكن أن توفر للدول الأعضاء –خاصة للصين وروسيا– فرصة تحقيق العديد من المكاسب الأمنية الخاصة بعرقلة أية تهديدات أمنية إقليمية كانت أو دولية.

2. هناك تطور واضح للدور الأمني لمنظمة شنغهاي للتعاون، الذي بدأ بمرحلة التقارب الإقليمي بين الدول الأعضاء بعد انهيار الاتحاد السوفيتي في الفترة 1991–1996، ثم تطور إلى مرحلة بناء الثقة الأمنية بين الدول الأعضاء في الفترة 1996–2001، ثم انتقل إلى مرحلة "مأسسة" الأمن الإقليمي في الفترة 2001–2004، ووصل إلى مرحلة تبني إستراتيجية عالمية أو الانطلاق نحو ممارسة دور أمني عالمي 2004–2013، والذي ظهر بشكل جلي في مواقف المنظمة من بعض القضايا الدولية (الأزمة السورية).

3. هناك جملة من المؤشرات التي رصدتها الدراسة تدلل على أن المنظمة بدأت تمارس نوعا من التوازن الناعم (Soft Balancing)، بهدف تشكيل حلف سياسي وعسكري قد يكون له شأن في منافسة حلف الناتو مستقبلا، مما يحد من قدرة حلف الناتو والولايات المتحدة من الانفراد في تقرير حق التدخل السياسي أو العسكري في المناطق القريبة من حدود الدول الأعضاء لهذه المنظمة، أو في المناطق المهمة لأقطاب هذه المنظمة. ولعل أهم مؤشرات هذا التوازن الناعم يتمثل في:

- استثمار المنظمة للمنابر العالمية والإقليمية لإظهار هيبتها ومكانتها الدولية، ولطرح مواقفها تجاه العديد من القضايا الأمنية الإقليمية والعالمية.
- تزايد حجم الإنفاق العسكري لدول المنظمة خاصة لدى الجانب الصيني والروسي.
- التوسع في إجراء المناورات العسكرية بين الدول الأعضاء.
- وجود علاقات مع منظمة CSTO الأمنية المهيمن عليها من قبل روسيا.
- عسكرة أمن الطاقة ضد أية أخطار محتملة.
- الطموح الصيني والروسي بالتعددية القطبية في النظام السياسي العالمي ومحاولة عرقلة توجهات الولايات المتحدة في الأمم المتحدة.
- الخصومة التاريخية بين أقطاب منظمة شنغهاي (روسيا والصين) وأقطاب حلف الناتو (الولايات المتحدة والدول الغربية).
- تصاعد لهجة البيانات الصادرة عن اجتماعات الدول الأعضاء في المنظمة –وآخرها القمة الأخيرة للمنظمة في أيلول عام 2013– والتي ترفض سياسة الانفراد بالهيمنة على النظام الدولي.

4. لاحظت الدراسة أن تأثير الدور الأمني لمنظمة شنغهاي للتعاون لا زال متواضعا كي يوظف في موازنة قوة الناتو في المستقبل المنظور على أقل تقدير. وبالتالي سوف تبقى قوة منظمة شنغهاي محدودة ولن تكون قادرة على

تشكيل موازن قوي قادر على مواجهة حلف الناتو، خاصة بوجود المعوقات التالية:

- تفوق القدرات الكلية العسكرية لدول حلف الناتو على تلك التي تمتلكها منظمة شنغهاي.
- وجود حالة من الردع السياسي والاقتصادي بين أقطاب المنظمة والدول الغربية.
- افتقار المنظمة إلى التماسك بسبب عدم التكافؤ في قدرات الأعضاء أو بسبب وجود بعض التنافس والتناقض بين مصالح أقطاب المنظمة (الصين وروسيا).
- ضعف وعدم فاعلية أجهزة المنظمة مقارنة بأجهزة الناتو.

5. تغير البيئة الدولية في اتجاه المزيد من توافق المصالح بين الدول الأعضاء في منظمة شنغهاي، وفي اتجاه المزيد من التناقض مع الولايات المتحدة وحلفائها، قد يدفع منظمة شنغهاي إلى ترك سياستها الأمنية الحالية المتمثلة بالموازنة الناعمة، والانتقال إلى مرحلة الموازنة الخشنة (Hard Balancing)، وبالتالي العودة إلى إحياء سياسة الأحلاف التقليدية.

وفي النهاية، يمكن القول بأن هذه الاستنتاجات والمؤشرات تتوافق مع فرضية الباحث القائلة بوجود علاقة تأثير ايجابية بين تنامي دور منظمة شنغهاي الأمني وبين ميل المنظمة لتوظيف هذا الدور في موازنة قوة حلف الناتو.

المصادر والمراجع

ارشيدات، أسماء (2011) مستقبل الدور الدولي لمنظمة شنغهاي للتعاون من 2010م–2020م، رسالة ماجستير في العلوم السياسية، جامعة اليرموك الأردن،

جمال الدين، جبار علي (2009) مستقبل منظومات التعاون الإقليمي في ظل المتغيرات الدولية. مجلة الكوفة، (2)، 6–31.

Aris, S. (2008). *Russian-Chinese Relation through the Lens of the SOC*, Russia/NIS Center paper,(34). Retrieved from: www.ifri.org/downloads/Ifri_RNV_Aris_SCO_Eng.pdf

Bailis, A., Dunay, P., Guang, P., and Troitskiy, M. (2007). *The Shanghai Cooperation Organization*, SIPRI policy paper, (17), Stockholm International Peace Research Institute. Retrieved from: http://www.peacepalacelibrary.nl / ebooks/files/ SIPRI_Policypaper17%5B1%5D.pdf

Haas, M. (2007). *The Shanghai cooperation Organization: Toward a full-grown security alliance*, Netherlands Institute of International Relations. Retrieved from: http://www.clingendael.nl / sites / defaul t/files /20071100 _cscp_security_paper_3.pdf

Huasheng, Z. (2006). The Shanghai Cooperation Organization at 5: Achievements and Challenges Ahead, *China and Eurasia Forum Quarterly*, 4, (3), Central Asia-Caucasus Institute & Silk Road Studies Program, 105-123.

International Crisis Group (ICG) Asia. (2002). *Central Asia: Border Disputes and conflict potentia*l, Report (33*)*. Retrieved from: http://www.isn.ethz.ch / Digital Library / Publications /Detail / ?ots591=0c54e3b3-1e9c-be1e-2c24-a6a8c7060233&lng=en&id=28346

International Crisis Group (ICG) Asia. (2013), *China's Central Asia Problem*, Report (244). Retrieved from: http://www.crisisgroup.org/~/media/Files/asia/north-east-asia/244-chinas-central-asia-problem.pdf

Ishtiaq, A. (2008*). Shanghai Organization Cooperation: China, Russia, and Regionalism in Central Asia*, Conference on 'Inter-Asian Connections, 'February 21-23, Social Sciences Research Council, Dubai School of Government, University of Dubai. Retrieved from: http://www.ishtiaqahmad.com /downloads/sco_dubai_feb_08.pdf

Kurt, E. (2010). *Doubling NATO: Functional and geographical enlargement of the alliance*. (Document ID 3407396).

Lin, C. (2009). *NATO and the Shanghai Cooperation Organization: New Energy Geopolitics for the Transatlantic Alliance*. Retrieved from: http://www.worldsecuritynetwork .com /NATO/Lin-Christina/NATO-and -the- Shanghai-Cooperation- Organization-New-Energy-Geopolitics – for -the-Transatlantic-Alliance

Official Website of CSTO. Retrieved from: www.odkb.gov.ru /start/index-engl.htm

Official Website of SCO. Retrieved from: www.odkb.gov.ru /start/index-engl.htm.

Panin, A. (2013). SCO against Syria Strike, Iran Sanctions. *The Moscow Times on15.09.2013* , Issue 5213. Retrieved from: http://www.themoscowtimes.com/news/article/sco-against-syria-strike-iran-sanctions/486100.html

Paramoniv, V. and Strokov, A. (2006*). Russian-Chinese Relations: Past, Present and Future*, Conflict Studies Research Center, Defense Academy of the United Kingdom.

Retrieved from: http://www.defac.ac.uk / colleges / csrc / document - listings/ca/

Sorkina, M. (2009). *Shanghai Cooperation Organization: Geopolitics at the crossroads of Eurasia*, Master-thesis, Gent University, Netherland.

Stockholm International Peace Research Institute (SIPRI) Yearbook. (2012). *The Military Report*, Retrieved from: www.sipri.org/yearbook

Walt, S. (1987). *The Origins of Alliances.* Cornell University Press. Retrieved from: http://www.ou.edu/uschina/ texts/WaltAlliances.pdf

Yandas, O. (2005). *Emerging regional security complex in Central Asia: Shanghai Cooperation Organization (SCO) and challenges of the post 9-11 World*. (Document ID 12606201).

Yin, L. H. and Zhenxu, W. (2009). China's Advancements in Central Asia, *East Asia Policy*, 101 (2); 5-13.

Yu, B. (2012). China-Russia Relations: Succession, SCO and Summit Politics in Beijing, *Comparative Connections*. Retrieved from: http://csis.org/files/publication /1202qchina_russia.pdf

وثائق وبيانات اجتماعات قمم منظمة شنغهاي

Bishkek Declaration of the Heads of the Member States of the Shanghai Cooperation Organisation, 16.08.2007. official Website of SCO. Retrieved from: www.odkb.gov.ru/start /index-engl.htm

Charter of the SCO. (2001). Retrieved from: www.odkb.gov.ru /start/index-engl.htm

Declaration of Astana on the 10th anniversary of the founding of the SCO,15. 06.2011, official Website of SCO. Retrieved from: www.odkb.gov.ru/start/index-engl.htm,

Declaration of the Heads of State of the Member States of the Shanghai Cooperation Organization on Building a Region of Lasting Peace and Common Prosperity, 7.6.2012. Retrieved from http://www.sectsco.org /EN123 / show.asp?id = 442

Declaration on the occasion of the 5th anniversary of SCO, 15.06. 2006. Retrieved from: http://www.sectsco.org /EN123/show.asp?id=94

Statement of SCO Secretary-General in connection with Middle East events on 4 3 2011. Retrieved from :http://www.sectsco.org / EN123 /show.asp?id = 260.

The Security Role of the Shanghai Cooperation Organization 1996-2013: Regional Cooperation or NATO's Balancing?

Khair Salim Diabat*

ABSTRACT

This study examines the subject of the security role of the Shanghai Cooperation Organization (SCO) 1996-2013. The study presented a historical background of this organization in terms of its establishment, members, targets, structure, and security interests that member states are trying to achieve. The study tried to analyze the nature of the security role of the SCO by dividing it into four historical stages: Stage of approachment among the member states (1991-1996), stage of confidence and security building (1996-2001), stage of institutionalization of regional security (2001-2004), and stage of practicing a global security role (2004-2013). It is based on the premise, that there is a positive correlation between the growing security role of the SCO and the members tendency for balancing possible threats that coming from the NATO. In this study, the researcher have opted for "an historical analytical Approach" as one of the methodological tools that best fit to the topic.The study concluded that the security role of the SCO has developed significantly through exercising a kind of "Soft Balancing" towards the policies of the United States and NATO. This type of balancing may develop into "Hard Balancing", if the member states - particularly China and Russia – could overcome the internal and external challenges they are facing.

Keywords: SCO, NATO, Security Role, Regional Cooperation.

* Department of Political Sciences, Yarmouk University, Irbid, Jordan Received on 25/6/2014 and Accepted for Publication on 11/8/2014.